



قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552



الهجرة والشتات الثقافي والاجتماعي: قراءة سوسيولوجية في أدب المهجر الجديد

Immigration and Cultural-Social Diaspora: A sociological reading in the literature of the new Diaspora

د. يسرى الهذيلي¹*

¹ جامعة الملك فيصل، كلية الآداب، قسم الدراسات الاجتماعية، المملكة العربية السعودية.

Key words:

Immigration
cultural and social diaspora
literature of the new
diaspora.

Abstract

Literature of the new diaspora represents, par excellence, a psychological and a social report that unveils the mysteries of reality of the immigrants, and immigration cases are represent a true reflection of a mixture feelings, including nostalgia, alienation, and sadness, developing into an existential feeling haunted by anxiety, and constant tension. The study aims to investigate the historical contexts of the emergence of the literature of the new diaspora and its role in creating an intellectual and literary movement reflecting the cultural and social dispersion experienced by generations of immigrants. The qualitative approach was relied on the literary survey, in which the researcher sought the technique of analysing the content of what was stated in the writings of the new diaspora, on the grounds that qualitative research is a realistic reading of human life as they live and feel it.

This study reached the extent of the importance and role of diaspora literature in its various historical stages in expressing what immigrants live in a reality filled with issues such as identity, integration and nostalgia, the fact that formed a cultural and social dispersal in the diaspora with creative writers passionately writing about their reality and motherland, and at the same time about a social reality ripped coordinating behind the stream of consciousness and searching for modern art formations that depict the lives and concerns of immigrants.

ملخص

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال: 2022-11-06

القبول: 2022-12-15

الكلمات المفتاحية:

الهجرة

الشتات الثقافي

والاجتماعي

أدب المهجر الجديد.

يمثل أدب المهجر الجديد وثيقة نفسية واجتماعية بامتياز ترصد خفايا واقع المغتربين وقضاياهم في المهجر، لكونه يمثل انعكاسا صادقا لأحاسيس الحنين والوحدة والغربة والحزن الذي ينمي شعورا وجوديا مسكونا بالقلق والتوتر الدائمين، وتهدف الدراسة إلى تفصي السياقات التاريخية لنشأة أدب المهجر الجديد ودوره في خلق حراك فكري وأدبي يعبر عن تشتت الثقافي والاجتماعي الذي يعاني منه المهاجرين مما يؤثر سلبا على الأجيال اللاحقة، وتم الاعتماد على المنهج الكيفي بالمرسح الأدبي الذي توخت فيه الباحثة تقنية تحليل مضمون ما جاء في كتابات المهجر الجديد على اعتبار أن البحث الكيفي هو قراءة واقعية لحياة البشر كما يعيشونها ويحسون بها.

وتوصلت الدراسة إلى مدى أهمية ودور أدب المهجر في مختلف مراحل التاريخ في التعبير عن ما يعيشه المهاجرون من واقع متخيم بالقضايا التي تطرح مسائل عديدة كالهوية والاندماج والغربة، بما هو تشتت ثقافي واجتماعي في المهجر، إذ يتعلق الأمر بحيرة مبدع يكتب بحرقة عن واقعه ووطنه الأم، وفي الوقت ذاته عن واقع مجتمعي ممزق منساقا بذلك وراء تيار الوعي وباحثا عن تشكيلات فنية حديثة تصور حياة المهاجرين وهمومهم.

1. مقدمة

في ثقافة المركز. وتتعامل الثقافة العربية حالياً مع المصطلح بارتباك واضح غير قادر على الحسم ووضع حد لاضطراب المفهوم والاستقرار على مصطلح شامل يعبر عن الحالة. إذ يتضمن الشتات Diaspora دالتين: الشتات اليوناني ويعني حالة إنشاء مستعمرات في ذروة حاجة اليونانيين إلى استثمار أموالهم في مرحلة تاريخية مزدهرة اقتصادياً، وحضارياً، وثقافياً. والشتات اليهودي، وهو مصطلح يتضمن الإشارة إلى اليهود في السبي البابلي الذي ذكر في سفر دانيال، ودلالة نازية تتمثل في سياسة هتلر ضد اليهود.

استدعينا هذا القول ولنا فيه مآرب على اعتبار أنه يمثل الإطار المرجعي لموضوع هذه الدراسة التي تحاول الباحثة من خلالها البحث في الشتات الثقالي والاجتماعي الذي يعيشه المهاجرون وأهم القضايا التي يعكسها أدب المهجر الجديد.

2. مشكلة الدراسة

لقد تأثر أدب المهجر الجديد بالحياة الجديدة للمهاجرين، وبمنظم المجتمعات الحاضرة فقد ترك العامل الاقتصادي ظلاله على الكتابات متماهياً بالعامل السيكلوجي، فالمهجر الجديد خلق ظروفاً للتفكير في الكيفية التي ينخرط فيها المهاجر في نوع محدد من سوق العمل طبقاً لإمكانياته ومؤثراته وخبراته السابقة، ويطرح في ذات الوقت واقع الهجرة والشتات الثقالي والاجتماعي للمهاجرين وهو ما تطمح إلى تقصيه هذه الدراسة من خلال قراءة في أدب المهجر الجديد. كأدب يرسم تهاويم الذات ويمثل انعكاساً صادقاً لأحاسيس الحنين والوحدة والغربة والحزن الذي ينمي شعوراً وجودياً مسكوناً بالقلق، والتوتر الدائمين وهو ما يطرح إشكالية هذه الدراسة حول مدى قدرة هذا النمط من الكتابة على تمثيل حالة الكينونة القلقة القائمة على شتات اجتماعي وثقالي بين ثقافة أصلية متخيلة ذات توهج عاطفي مشحون يستعاد من خلاله الزمان والمكان القديمان، وثقافة معاشة في المهجر كواقع مسلط، وبينهما تمزق وجداني وهوياتي للمهاجرين، وهو ما يطرح بالضرورة تساؤلات متفرعة عن مشكلة الدراسة والمتمثلة في الآتي:

1. ما هي السياقات التاريخية التي تشكل فيها ما يسمى بأدب المهجر؟
2. ما هي الأطر المرجعية لأدب المهجر الجديد؟
3. إلى أي حد شكل أدب المهجر الجديد وعياً بقضايا المهاجرين؟
4. كيف مثل أدب المهجر الجديد رؤية انعكاسية للشتات الثقالي والاجتماعي للمهاجرين؟
5. كيف ساهم كل من الشعر والرواية العربية في تشكيل وعي نقدي لواقع المهاجرين وقضاياهم؟
6. ما هي النماذج الفنية والتصورات الجمالية لأدب المهجر الجديد من خلال الشعر والرواية؟

عاشت المجتمعات العربية منذ عقود غربة الإنسان وأزمة المجتمع المدني تجلت في احباطات مشاريعه المستقبلية، بدءاً بمرحلة استعمارية مليئة بالكفاح المرير، وصراع عربي إسرائيلي عمق خيبة المجتمعات العربية بهزيمة حزيران 1967، أو ما يعرف بحرب النكسة، والتي خلفت أزمة بنيوية وثقافية، ورجة نفسية هزت الوجدان العربي لا زلنا نعيش على وقع انكساراتها. انكسارات وحييات تزامنت مع تغيرات متسارعة النسق تجتاح العالم بأسره، تغيرات اقتصادية وتكنولوجية وسياسية غيرت موازين القوى، وعمقت الفجوة بين المجتمعات المصنعة المتقدمة، والمجتمعات المتخلفة المستهلكة.

مثل هذه الثنائيات جعلت من الدول الغربية مطمحاً للهجرة إليها كمناطق جاذبة تتوفر فيها كل مقومات الحياة بأبعادها الإنسانية من مبادئ، وقيم، وحرريات فكرية ودينية. وعليه فقد ارتبط مفهوم المجتمعات المهاجرة بمفهوم ليس حديث النشأة وإنما اقترن بالنشاط الاستعماري القديم بمستعمراته ونمطه التقليدي، وقد أطلقت اللغة اليونانية القديمة على هذه المجتمعات تسمية "مجتمعات الشتات" Diaspora، وهو مصطلح اقترن بدلالات سياسية واقتصادية وثقافية، فالمجتمعات المهاجرة التي استوطنت قرب شواطئ البحر المتوسط قبل الميالد بقرون عديدة قد أنشأت مركبا حضارياً فريداً في بلاد اليونان القديمة، وصف أفلاطون تلك اللحظة بقوله "نزلنا في شواطئ هذا البحر كما تنزل الضفادع حول بركة الماء (Regal, 1998)، فهذه الضفادع قد أنشأت ما يسميه المؤرخون المعجزة الإغريقية (الأبار، 1980) في الفلسفة والعلم نتيجة لتفاعل ثقافات مختلفة الأعراق، والملل، والمعتقدات، فمدينة إيليا التي اشتهرت بأصالة أفكارها الفلسفية والعلمية، هي مدينة أنشأها المهاجرون في غرب إيطاليا (ديورانت، 1988، صفحة 202).

مسارات تاريخية وابستيمية عرفتها مثل هذه الأدبيات وما يهمنها منها هو تشكل أدب المهجر الجديد بما هو حمال لدلالات وانعكاس لواقع المهاجرين صلب المجتمعات الحاضرة في البلدان المضيفة، والتي وضعت بصمتها في الطابع الثقافي والاقتصادي والسياسي للمدن المتروبوليتانية، مثل باريس، ولندن، وستوكهولم، ومديد، ونيويورك وغيرها من المدن التي تضم خليطاً من الأعراق، والأديان، والأيدولوجيات، فأصبحت مكاناً للاختلاف الثقالي بين المجتمعات الغربية الحاضرة، وثقافات يحملها مهاجرون غرباء. وهو الاختلاف الذي كانت البلدان المتقدمة المضيفة ذات النزعة المركزية القوية تأمل انحلاله أو تذويبه بمحلول المركزية الثقافية عن طريق اللغة الحاضرة، ومنظومة القيم الاجتماعية، والقوانين المتبعة في تلك المجتمعات، أو من خلال ممارسة سياسة الاندماج والتكيف والاستيعاب وغير ذلك من المصطلحات التي هدفها ترويض الثقافات الجديدة وتذويبها

3. أهداف الدراسة

لهذه الدراسة أهداف من بينها:

- تقصي ماهية أدب المهجر الجديد والسياقات التاريخية التي تشكل وفقها.
- دور هذا النوع من الأدب في التعبير عن قضايا المهاجرين.
- أهمية أدب المهجر كوثيقة نفسية واجتماعية تعبر عن الشتات والثقافة والاجتماعي للمهاجرين.
- تقصي أزمة الهوية لدى المهاجرين من خلال أدبيات المهجر الجديد.
- الكشف عن الرؤية الانعكاسية لأدب المهجر الجديد من خلال الرواية العربية والشعر.

4. أهمية الدراسة

تتجلى أهمية هذه الدراسة في كونها تطرح وفق قراءة سوسيولوجية السياقات التاريخية التي تشكل وفقها ما يسمى بأدب المهجر - وأدب المهجر الجديد في التعبير عن قضايا المهاجرين والتشتت الثقافي والاجتماعي بما هو تميز وجداني وهوياتي للمهاجرين، ودور هذه الأدبيات رواية وشعرا ونثرا ومسرحا في تصوير واقع معيشي من خلال صور فنية وتعبيرات دلالية عكست بيئة اجتماعية وثقافية واقتصادية يعيشها المهاجرون.

5. منهجية الدراسة

تم الاعتماد على المنهج الكيفي الذي توخت فيه الباحثة تقنية تحليل مضمون الأثر الأدبي لما يعرف بأدب المهجر الجديد، ويتيح هذا المنهج للباحثة قراءة سوسيولوجية لما جاء في هذه الكتابات خاصة وأنه يمثل نشاطا ذهنيا يطمح لإضفاء المعنى على العالم الذي نود فهمه واستنتاجه ومحاولة تغييره، وهو في الوقت نفسه مغامرة، وغوص في تحليل المعنى والمعلومات التي وقع جمعها لإصباغ القوة العلمية عليها، وما يميز هذا المنهج هو تقنياته، وتقننه في تناول المعلومة وتحليلها، وهو يمثل ذكاء لمعرفة الدلالات، على اعتبار أن البحث الكيفي هو قراءة واقعية لحياة البشر كما يعيشونها، ويحسون بها، لا كما يكتب عنها الآخرون. وهو ما يدفع الباحثة إلى توظيف النظرية البنوية التوليدية ونظرية النقد الاجتماعي في هذه الدراسة التي تتقصى أدبيات وكتابات المهجر الجديد كضرب من الجنس الأدبي الذي يعرف عادة بالواقعية، هذه التي تنطلق من بعض الواقع، نصفه، والنصف الثاني تجريد لهذا الواقع، وبقدر ما تختلط الحقيقة بالكتابة نثرا وشعرا ورواية بالخيال، يكون ذلك شهادة على إبداعية النص وقوته أحيانا في لغة فصحي، وأحيانا في لغة تلائم أفهام العامة من الناس، إذ يتعلق الأمر بحيرة مبدع يكتب بحرقة عن واقعه ووطنه الأم ومن أجله، منساقا وراء تيار الوعي وباحثا عن تشكيلات فنية حدثية تصور حياة المهاجرين وهمومهم.

6. أدب المهجر الجديد: المفهوم والسياقات التشكل

يطلق مصطلح أدب المهجر على الأدب العربي الحديث شعرا ونثرا ورواية، والذي نشأ في البلدان الأوروبية والأمريكية لعدد من الأدباء العرب الذين هاجروا إلى أوروبا وأمريكا، ولاسيما أمريكا الشمالية والجنوبية في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وكان أكثرهم من سوريا ولبنان وفلسطين، وتركوا إرثا أدبيا يعكس رؤيتهم للواقع، وللوجود، وللوطن. كتابات تعكس تأثرهم بالأدبين الأوروبي والأمريكي وفتحت وصيدا على المجال العاطفي والتصويري لدى الأدباء والشعراء نتيجة الحياة في بيئة جديدة (سليمان، 2014، صفحة 95).

جاء مصطلح المهجر الجديد، اشتقاقا من كلمة الهجرة الأكثر تداولاً في الدراسات الثقافية والأنثروبولوجية والكولونيالية، ودراسات علم الاجتماع والتاريخ، وهو أكثر حيادية وابتعادا عن أي محمول إيديولوجي. إنه يتضمن دلالة ثقافية خصبة في الفن، والأدب والفكر ودلالة إنسانية، باعتباره يشمل كتابات مهاجرين اختاروا المهجر بعد أن تعرضت حياتهم إلى الخطر بسبب الحروب والكوارث الاجتماعية، وتوصيفه "بالمهجر الجديد عن المهجر القديم" هو لتمييزه عن المهجر القديم الذي أسسته كتابات المهجر العربي منذ القرن التاسع عشر.

إن مفهوم الأدب المهجري وتدايحه وشجونه ومواضيعه وخصوصياته يكاد يكون قاسما مشتركا في كتابات جميع الأدباء والمثقفين المغتربين، وحتى بالنسبة للسلاسل اللاحقة فيما يطلق عليه أدب الدياسبورا، والتي تراوح بين انتماءين، ووطنين، وهويتين، وثقافتين، بما هو شتات ثقافي واجتماعي (العشماوي، 1980، صفحة 313).

ولا يمكن تحقيب الأدب ودراسته بحسب التقسيم المرحلي فحسب، بل ينتظم بحسب الحركات والمدارس الأدبية، لأن التاريخ عبر مساره الطويل عرف العديد من موجات النزوح الفردية والجماعية، وبالتالي فقد عرف ميلاد العديد من المدارس الأدبية وخصوصياتها الجمالية، ومن هذا المنطلق يمكننا الحديث عن أدب مهجري قائم بذاته، لكن أن تكون له مدرسة فنية تميزه وتؤرخ له فذلك لم يبتدئ إلا مع موجات الهجرات الجماعية من الشام إلى الأمريكيتين، هربا من الاضطهاد والقهر والاستبداد والظلم الاجتماعي، والاضطهاد الديني والعنصري وضيق الحال والتي بدت تتصاعد منذ عشرينات القرن الماضي بحثا عن سماوات أخرى أقل ضيقا وأكثر رحابة وحرية وانطلاقا، وكان لا بد أن يحمل هؤلاء المهاجرون ثقافتهم وأحلامهم الواسعة التي لا ضفاف لها (المهدي، 2014، صفحة 42).

وتعد المدرسة المهجرية التي أسسها الأدباء العرب الذين هاجروا من بلاد الشام إلى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، وكونوا فيها جمعيات وروابط أدبية، كما أخرجوا صحفا ومجلات تعنى بأدبهم، وترصد الحركة الأدبية في المهجر، وأشهر هذه

وجغرافيا ومعنوية، لذلك جاء تعبير "النكسة" أكثر عمقا من تعبير "الهزيمة" وامتدادا للمحنة التاريخية الأولى في الصراع العربي الإسرائيلي والذي بدأ بما يسمى "نكبة 1948" وتهويد فلسطين.

منعرج مثلته هزيمة حزيران في مرحلة لاحقة كحدث تاريخي وموضوع فكري أجمع المثقفون على أنه كارثة تهاوت معها كل المشاريع العربية، وحل محلها العجز القائم على كل الجبهات والبدائل المطروحة، لذلك ساعد الإحباط على تشكيل بنية ذهنية مشتتة ثقافيا واجتماعيا، وهوية مأزومة، وأفرزت مدًا لهجرة البحث عن بدائل وواقع مغاير، أو هو الهروب من نكسة ألقت بظلالها على النخب المثقفة والمجتمعات، لتحدث بذلك عن أزمة بنيوية بامتياز، وفتح وصيدا على هجرة النخب والمثقفين الذين ما فتئوا يرثون الوطن والحنين إليه شعرا ونثرا ورواية ومسرحا وموسيقى.

هنا تطرح القراءة السوسيولوجية رؤية تنقصى من خلالها آليات اشتغال الهجرة كموضوع مثير للاهتمام بالنسبة إلى الأنثروبولوجيا من ناحية التأثير والتأثير في الثقافة، فقد اتخذت الأنثروبولوجيا الثقافية الهجرة وعمليات الانتقال موضوعا أساسيا ينطوي على خصب كبير، فهي تتعامل مع المهاجر بوصفه كائنا ثقافيا يحمل معه إلى البلد المضيف منظومة ثقافية متكاملة لا تنضب من الذخيرة اللغوية، والرموز، والأساطير، والأمثال، والاستعارات، والكنائيات، والحكايات الشعبية وغير ذلك. والتي يعمل غالبا المهاجر على إحيائها في بلد المهجر. إذ تحاول الأنثروبولوجيا الثقافية أن تقوم بمقاربة متعددة الأبعاد حول الاختلافات الثقافية ونمو أشكال جديدة نتيجة عمليات المصاهرة الثقافية، وتطرح أسئلة حول الكيفية التي تكون فيها ثقافة المهجر عرضة للتغيير والتلاقح بفعل الهجرة بوصفها حركة اقترنت عبر التاريخ بتفكيك البنى التقليدية وتحريك المياه الراكدة في الاقتصاد والسياسة والثقافة في العديد من المجتمعات.

7. أدب المهجر الجديد: النزعة الفلسفية وتمثيلات الغربة

فلسفيا يشير مصطلح الاغتراب إلى سيكولوجية معينة، فقد صاغه "هغل" في فينومينولوجيا الروح بمعنى أن الإنسان إله مغترب عن ذاته، وأن العالم "ماهية روحية تكون في وضعية اغتراب مستمرة. أما عند "كارل ماركس" فإن النظام الاقتصادي والتكنولوجيا الحديثة جعلتا نتائج نشاط الإنسان في العمل والعلم والأخلاق شيئا مستقلا وغريبا عنه (أبوماضي، 1997، صفحة 104)، وهما يمارسان عليه هيمنة كئيبة على نحو ترك عليه أثارا نفسية عميقة جعلته لا يمتلك ذاته، وغير قادر على التكيف مع البيئة، فالملكية الخاصة جعلت ثمار العمل ملكا لغير من ينتجها فكرست نمطا من السيطرة على النشاط البشري.

ويعود تمثل الغربة والاغتراب إلى ما طرحته الفلسفة الوجودية، خاصة في كتابات "جون بول سارتر" من أسئلة كثيرة تتصل

الجمعيات الأدبية: الرابطة القلمية، والعصبة الأندلسية. فالرابطة القلمية تكونت سنة 1920 في نيويورك بأمريكا الشمالية، وأعلنت الثورة على الشعر التقليدي، ودعت إلى التجديد في الشعر شكلا ومضمونا، ومن أبرزهم جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، ونسيب عريضة، ورشيد أيوب وغيرهم كثير.

العصبة الأندلسية وقد تكونت سنة 1932 في البرازيل بأمريكا الجنوبية، وهي أميل إلى المحافظة على القديم، ودعم الصلات بين الشعر الجديد والقديم، أسسها ميشيل معلوف ومن بينهم، فوزي معلوف، إلياس فرحات، سلمى صانع وغيرهم من الأدباء (إحسان، 1982، صفحة 71).

اتسمت أغلب كتابات المهجر بالنزعة التأملية حيث اتجه أدباء المهجر إلى تأمل الواقع الذي يحاصره، ومظاهر الطبيعة وشخصوها ككائن ليعبروا عما يجيش في نفوسهم من أحاسيس الحنين إلى الوطن الأم، ممزوجا بما أصابهم من كوارث والسبب في ذلك شعورهم بالغربة وهم بعيدون عن أوطانهم، حيث يشيع الحزن في الأدب المهجري شعرا ونثرا ورواية لطول الأيام في الغربة وإحساس المهاجر بوطأة الزمن.

وعليه يعد موضوع الكتابة والهجرة من الموضوعات الغنية بما تشيره من ارتباطات ذات أبعاد سياسية واقتصادية وأنثروبولوجية، ويتمتع بجاذبية كبيرة لدراسات ما بعد المرحلة الاستعمارية، التي اعتبرت الهجرة نتيجة حتمية لسياسة الحقبة الكولونيالية التي مارست أسلوب القوة والهيمنة الثقافية بقمع الثقافات الأصلية، ومنع حقها في الاختلاف وجعلها هامشا يدور في فلك مركزية ثقافة الاستعمار وتفسيراته ومفاهيمه وتقييماته وسردياته، واعتبار الثقافات الأصلية عائقا أمام التطور، وعليه فإن الحقبة الاستعمارية وما بعدها أفرزتا مجتمعات كسيحة فاقدة لشروط الهوية مادامت تحيا بمقتضى ما يسميه "بيل اشكروفت" "الخبرة الكولونيالية"، وما خلفته من تأثير كبير في تأسيسها كل نظم التربية والتعليم والنظم الاقتصادية الخاضعة، والنظم السياسية الاستبدادية التي سوف تؤسس مجتمعات ما بعد الكولونيالية وتديرها بأسلوب التابع الخاضع للقوى الامبريالية عن طريق معاهدات التبعية ومواثيقها، ولذلك فإن الاستعمار والأنظمة التابعة أو بالأحرى الخاضعة له، قد خلقت ظروفًا اقتصادية وسياسية وثقافية في غاية السوء كانت الهجرة إحدى نتائجها (ناظم، 2019). وفي الحقيقة لم تكن المرحلة الكولونيالية وحدها التي أفرزت مجتمعات كسيحة وفاقة للهوية وإنما كرستها هزيمة حزيران، أو ما يعرف بحرب 1967، وما يسمى إسرائيليا "بحرب الأيام الستة" كمنعرج حاسم في تاريخ المجتمعات العربية، فألى جانب ما مّني به التحالف العربي من هزيمة عسكرية واستيلاء إسرائيل على مناطق عربية، فقد مثلت الرجة التي هزت الوجدان والفكر العربي، لتكون الهزائم مزدوجة عسكريا،

الفلسفية والمنزع العقلي يتقاطعان في فهم كتابات المهجر التي يمتزج فيها الإحساس بالغربة والتشظي في المهجر كأرض بديلة عن البلد الأم وأهل غير الأهل.

8. أدب المهجر: الرواية العربية بين الأزمة البنيوية والوعي النقدي

لقد شكّل أدب المهجر علامة في الثقافة العربية، ليس فقط من جهة الموضوعات التي تتناولها الرواية والشعر، بل أيضا على الصعيد الفني، حيث يعتبر الناقد المغربي عبد الرحيم علام أن أدب المهجر استأثر بالنصيب الأوفر من الاهتمام السردي بها داخل العديد من النصوص الروائية الرائدة للشعائر الثقافية والاجتماعي الذي يعيشه المهاجر أو المغترب، والذي حضر بقوة في مستوى الاستثمار التخيلي والسردى لها (العلام، 2003)، حضور تتقاطع فيه الرواية بوصفها أولا وحدة مكثفة بذاتها، وثانيا نتاج لواقع اجتماعي معين، وهنا يمكننا الاستفادة من منهجية "لوسيان قولدمان" في تناوله الوعي الفعلي، والوعي الممكن، في الرواية. إذ تتبنى الدراسة الراهنة التوجهات النظرية والمنهجية للبنيوية التكوينية، كما حددها قولدمان في دراساته المختلفة التي تناولت العلاقة بين الأدب والمجتمع بالفهم والتحليل، ومنها بشكل أساسي ومتميز في روايته "الإله الخفي" في علم اجتماع الأدب (عبد العظيم، 1998)، رغم أن البعض يذهب إلى القول بأن "أرسطو" هو أول بنيوي من خلال اهتمامه الشديد ببنية المأساة (خليل، 2002)، خاصة وأن أدب المهجر ينزع إلى الطرح المأساوي والتراجيدي، يصفها الناقد المغربي محمد برادة في كتابات المهجر الجديد بأنها بداية الرواية الجديدة، حيث أعلن الأدب بعدها عن بقية الخطابات الأيديولوجية القائمة ويقول في ذلك "لعل من بين أسباب اهتمامي بالخطاب الروائي، وتحليل أشكاله وتأويل دلالاته أنني كنت أجد فيه منذ الخمسينيات، فسحة من القول تضيء لي معالم من المشهد المشحون بالأيديولوجيات الثورية والوقوف على أطلال وطن هاجروه" (برادة، 2014، صفحة 131)، تعبيرا عن سقوط فترة اجتماعية تاريخية محددة، وانفتاح الرواية العربية على موضوع ثابت لا يزال يتناسل بأشكال مختلفة حتى اليوم يتمثل في الشتات الثقافي والاجتماعي المستمرين.

في السياق ذاته ظهرت الكاتبة والصحفية العربية غادة السمان برواياتها ومقالاتها ذات السرد المحبك، من ضمنها مقالها الشهير "أحمل عاري إلى لندن"، إذ أن عملها في الصحافة زادها قربا من الواقع الاجتماعي، وكتبت في تلك الفترة مقالات صحفية كونت سمادا دسما مواد أدبية ستكتبها لاحقا في المهجر. وفي عام 1973 أصدرت مجموعتها الرابعة "رحيل المرافئ القديمة" والتي اعتبرها البعض الأهم بين كل مجاميعها، حيث قدمت بقالب أدبي بارع المأزق الذي يعيشه المثقف العربي في وطنه وفي المهجر، والهوة السحيقة بين فكره وسلوكه. كرّست

بوجود الإنسان الحسي والمعنوي في الحياة، والمشكلة أن الفلسفة الوجودية بنت معرفتها على فهم الوجود من خلال الحواس، وفهمها للعالم من حولها، وأن المعرفة ذاتها نابعة من تلمسنا للواقع القائم أمامنا، مما جعل المعرفة في النهاية نسبية، وضاع اليقين، واشتدت الحيرة وساد تصور فكري أن المبدع في حالة صراع مع المجتمع والواقع (شكيب، 1999، صفحة 211)، وهو ما تجلى في الذات العربية المعاصرة. التي تعاني من هزائم وتراجع وانحطاط مجتمعاتها، وتشتت الهوية وتأزمها، إذ ظهر الاغتراب في هذا الجيل والأجيال السابقة التي تشاهد العجز اليومي والفرقة والشتات، فأثرت الغربة عن الوطن والأهل بحثا عن واقع أفضل. شتات عبرت عنه روايات ودواوين شعرية كتبت في المهجر وهي كثيرة منها "همس الجفون" لميخائيل نعيمة، "الأرواح الحائرة" لنسيب عريضة، "أوراق الخريف" للندة حداد، وكتابات كثيرة وخالدة لجبران خليل جبران، وغسان كنفاني، وغادة السمان، ونزار قباني، ومحمود درويش، وإيليا أبو ماضي، وغيرهم كثر ممن أخرجوا أدب المهجر الجديد في شكل فني وشعري وروائي بأسلوب إبداعي محبك.

إبداعات نرصد مظاهر الاغتراب فيها في ثلاثة أبعاد: اغتراب الإنسان عن العالم والكون، اغتراب ميتافيزيقي، أو اغتراب أساسي ملازم لوعيه بوجوده، ثم الاغتراب عن الجماعة التي ينتمي إليها بما لها من ماض وقيم وتقاليده، وأخيرا الاغتراب عن الذات وهو هذه الأشكال الثلاثة وأهمها (شكيب، 1999، صفحة 213).

إن الاغتراب في أدب المهجر يعبر عن أزمة ذات وجهين: الأول يتصل بفقدان الهوية والانتماء، والثاني العلاقة المتأزمة مع المجتمع، وكلاهما يؤديان إلى عزلة وضيق وتخبط لأبناء الوطن عامة، وللشعراء خاصة بوصفهم معبرين عن أحاسيس الجماعة، ولا تزال الأزمة مستمرة لأن الإنسان العربي يعاني من مسببات عديدة لاغترابه، ولا يجد في الأفق حلا لها.

وبالعودة إلى النزعة الفلسفية في مرجعيات الغربة نجد إرث أبو حيان التوحيدي نقطة فاصلة في الفكر العربي، ولعل صاحب الإشارات الإلهية أبو حيان التوحيدي هو أول من جعل من الغربة بناء فلسفيا متسق الجوانب فيقول: قد قيل: الغريب من جفاه الحبيب، وأنا أقول: بل الغريب من واصله الحبيب، بل الغريب من تغافل عنه الرقيب، بل الغريب من نوى من قريب.. (ثم يرتفع بهذه النبذة إلى درجة عالية فيصيح): بل الغريب من هو في غربته غريب" (شوقي، 2002، صفحة 198). إن هذه الصورة التي رسم خيوطها التوحيدي، قد أشارت إلى ملامح مستوى تصوري أعلى للغربة، بعد أن صارت الغربة نفسها وطنا له، وهذا يرسم دائرته الحركية المتطورة المستمرة حتى يعلو فوق الوطن المادي لتستمر حركية الهلوسة الفكرية حتى يصل إلى سقف الوطن الثاني وهو الغربة، فيصبح فيه غريبا. استدعينا هذا القول ولنا فيه مآرب على اعتبار إن النزعة

الترمت أو الخوف، وطرحت قضايا المهجر والهوية والعلاقة بالآخر والأصالة، والمعاصرة ومكانة المرأة.

أظهر الطيب صالح في روايته "موسم الهجرة إلى الشمال" عبقرية فائقة في فهم الأنا المغترب في مفهومها الفردي وفي مفهومها الجمعي بلد المهجر في "نحن" مقابل الـ "هو" / الآخر المختلف ثقافيا كذلك في مفهومه الفردي والجمعي. أي أن هذا الفهم الذي أظهره الطيب صالح لم يكن على مستوى الأنا / الفرد / الطيب صالح أو بطله "مصطفى سعيد" بطل روايته "موسم الهجرة إلى الشمال" فحسب، في مقابل الآخر أي الشخصيات الأخرى في الرواية بما تمثله كل شخصية على مستواها الشخصي، وإنما كان الأنا الجمعي / السوداني / الأفارقة / الشرق العربي / العالم الثالث / المستعمر في مقابل الآخر / الغرب / الامبريالي / المستعمر. على أن الموضوعية تقتضي النظر إلى الآخر على أنه ليس فقط الغرب / الامبريالي / المستعمر وحده، وإنما الآخر يمكن أن يكون جزءا من الذات، يظهر أو يختفي في الأنا الفردي أو الجمعي، الـ "نحن" / أي جزءا من المجتمع الذي ينتمي إليه الطيب صالح أو بطل روايته مصطفى سعيد / المجتمع السوداني / المجتمع العربي / الشرقي / أو أي مجتمع في العالم الثالث. ذلك لأن شخصيات الرواية بريطانية / غربية كانت، أو سودانية / أفريقية / شرقية / عربية فإنها جميعا شخصيات رمزية لها دلالاتها التي لا بد من فهمها وكشف أسرارها لكي يتسنى لنا الفهم الصحيح لقضية الأنا والآخر في هذه الرواية، "موسم الهجرة إلى الشمال" في مقابلة الشرق والغرب كثنائية ضدية تقوم عليها العلاقات العربية الغربية (براده، 2014، صفحة 43).

إن كتابات المهجر الجديد، تناولت الاختلافات الثقافية والحضارية بين الشرق والغرب بالطريقة الرمزية التي عالجها الطيب صالح في موسم الهجرة إلى الشمال بطريقة أكثر تركيزا على الجوانب النفسية، والتقاليد الاجتماعية في رواية الحبيب السالي "روائح ماري كليل"، فمنذ أن كتب الطيب صالح روايته المميزة أصبحت موضوع الصراع الحضاري بين الشرق والغرب تتبدى في التفاصيل العادية للعلاقات الشخصية بين أبطال الرواية العربية المعاصرة، ولا سيما تلك التي كتبت في المهجر الجديد (أبوشهاب، 2009، صفحة 186)..

إلا أن المهاجر الجديد، بدأ يتشارك المكان، واللغة، وامتزاج الدم مع السكان المحليين، ولذلك كان الحيز الثقالي الذي تنطلق منه الكتابة الجديدة أكثر غنى وتفاعلا مع الثقافة، والتكنولوجيا، والاتصال بالأفكار والنظريات، فالمكان الجديد استحدث إشكاليات أخرى أصبحت تشكل تحديا لهذه الكتابة التي حاولت في السرد على وجه الخصوص، أن تكشف عن وعي آخر لإدراك العلاقة المعقدة مع الغرب، من خلال استثمار عامل الحرية لإعادة قراءة كل الملفات والموضوعات التي لم يكن تناولها وكشف خباياها سابقا أمرا ممكنا. لذلك فهي

من خلاله الكاتبة عادة السمان هذا الخطاب الروائي لسيرورة تاريخية وأيديولوجية (يوسف، 1997، صفحة 82).

و هو ما ذهب إليه الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني الذي يعتبر أول من توخى الواقعية في أدب المهجر "المنفى"، حيث أرّخ لهذا الأدب منذ نكبة 48، و نكسة 67، وما بينهما ترحال ومقاومة ومنفى ويقول غسان كنفاني "بينما رسم في روايته "عائد إلى حيفا" الوعي الجديد الذي بدأ يتبلور بعد هزيمة 67 من خلال إعادة النظر في مفهوم العودة ومفهوم الوطن (غسان، 1969، صفحة 127).

وتعتبر كتابات المقاومة والحرب والمنفى في الرواية العربية للدكتور السيد نجم هي أحدث ما ظهر في مجال الدراسات الأدبية التي تناولت هذا النوع من الأدب، من خلال تعامل العالم العربي مع جانب هام يصوغ حياته وواقعه الحالي منذ سنين عديدة، وهو الجانب المقاوم للآخر، سواء أكان هذا الآخر هو المحتل والمستوطن للأرض العربية مثل المقاومة على أرض فلسطين، والآخر في المهجر، أو أدب الحرب المتمثل في العديد من الأعمال الروائية التي تتناول هذا الجانب الواقعي المهم من حياة الأمة العربية، ويشترط الوصول إلى المضمون الأيديولوجي لهذه الأعمال الأدبية وفقا للمنهج البنيوي التكويني المرور بعملية تحليل البناء الشكلي في الإنتاج الإبداعي والذي ينتقل في مرحلة لاحقة إلى مستوى الفهم الأيديولوجي والاجتماعي.

ويمكن إدراج الرواية العربية ضمن مراحل تاريخية مختلفة، أهمها العلامة الفارقة التي أحدثتها النكبة والمنفى والمهجر في توليفة دلالية واستقرائية لواقع متأزم، إذا بدت الرواية مسرحا لأزمة الصورة والدلالة، نفسيا أو اجتماعيا، أزمة تتصاعد وتركد، تشتد وتخفت، لكن صفتها الأهم ديمومتها، وتنعكس في وعي الطبقة المثقفة والمسيسة وتعبر عن نفسها على مستويين: على مستوى خطاب تحليلي نقدي، وعلى مستوى حركات اجتماعية جديدة (الهذيلي، 2014).

9. تناظرات الغرب والشرق في أدب المهجر الجديد: "موسم الهجرة إلى الشمال نموذجاً"

عالجت الروايات العربية الأزمة الحضارية بين الشرق والغرب، وعليه فانه يحق القول أن الطيب صالح أظهر فيها فهما شموليا لمجتمعنا العربي وحاول أن يطرح في روايته رؤية شمولية تاريخيا، اجتماعيا، اقتصاديا وسياسيا لمشاكل هذا المجتمع، على مستوى الفرد والمجتمع كله، ومجمل علاقاته مع ذاته ومع الآخر، مع الغرب الاستعماري وضرورة مواجهته ليتسنى له العودة إلى ذاته ومواجهة مشاكله. لقد كانت رواية موسم الهجرة إلى الشمال حدثا استثنائيا في تاريخ الرواية العربية، وانطلاقا في مد جسوره لإنطاق المسكوت عنه في الثقافة العربية التي لا تزال تقليدية في مجملها، فموسم الهجرة إلى الشمال رواية بعيدة عن التقليد أو التصنع أو

لكن المجتمعات المهاجرة لم تتعايش في جزء كبير منها مع هذا التمازج الثقافي والاجتماعي فجعلت نفسها ولا سيما في التقاليد الدينية طرفاً في صراع هوياتي هو الصراع بين الأضداد، أو بين بنيتين متباينتين أشد التباين، ويبدو هذا الصراع أمراً حتمياً وطبيعياً، فإذا اعتقدنا بنظرية صراع الأضداد للفيلسوف اليوناني هيراقليطس الذي كان يقول في شذراته الفلسفية "يجهل الناس كيف يكون الشيء مختلفاً، ومتفقاً مع نفسه: فالائتلاف يقوم على الشد والجذب بين الأضداد" وإن "الضد هو الخير لنا" والائتلاف الخفي أفضل من الظاهر (حجر، 1999، صفحة 213).

وعليه يمكن أن نرى الوجه الآخر لهذا الصراع الخفي أفضل من الظاهر على حد سواء بين المجتمعين الحاضن والمهاجر، فقد برهنت هذه المجتمعات على سلامة منطق نظرية هيراقليطس في جدل الأضداد، من خلال صنع مركب جديد سيكون موضوع اهتمام متزايد من الأنثروبولوجيا الثقافية، نظراً للدور الذي تلعبه الاختلافات الثقافية في حياة الدول المتقدمة التي فتحت أبوابها للمهاجرين تحت ذرائع شتى.

لذلك فإن هذا المصطلح الذي استعمله المفكر عبد الواحد لؤلؤة لوصف حالة الشعر في المهجر الجديد في كتابه "مدائن الوهم، شعر الحداثة والشتات"، لم يضع حداً فاصلاً بين الدلالة القديمة والدلالة المستحدثة. فالشتات يتضمن دلالة التشييت والتفريق التي مورست ضد اليهود كنوع من الاضطهاد الديني (براده، 2014، صفحة 51).

نحن إذا إزاء حالة واحدة، ومصطلحات متعددة فتمت من يستعمل المنفى، وهو في الغالب، مصطلح يتضمن دلالة سياسية خاصة إذا ما اقترنت بالكونيالية عندما قامت سلطاتها بنفي المعارضين، والوطنيين، ودلالة قمعية تقوم على الإقصاء، والإبعاد والطرد مارسها النظم الاستبدادية ضد معارضيه. والحقيقة أن حالات الهجرة الجديدة ليست كلها بسبب قمع سياسي، وإنما لها أسباب اجتماعية وثقافية ومادية توفا إلى حياة أفضل.

إن الشيء المهم بالنسبة إلى الكتابة في المهجر الجديد هو أنها بدأت تتأثر بالحياة الجديدة للمهاجرين وبنظم المجتمعات الخاصة، فقد ترك العامل الاقتصادي ظلاله على الكتابات الجديدة متماهياً بالعامل السيكولوجي، فالمهجر الجديد خلق ظروفًا للتفكير في الكيفية التي ينخرط فيها المهاجر في نوع محدد من سوق العمل طبقاً لإمكاناته ومؤهلاته وخبراته السابقة.

ولذلك فإن معظم كتابات المهاجرين صورت لنا سوق العمل بوصفه مجالاً للكفاح ضد جميع أشكال الإخضاع القهرية التي تفرضها النظم الاقتصادية الجديدة كلياً على المهاجرين، وتفرضها تقاليد العمل الغربية عنه، وعليه أن يتقبل نفسياً وسلوكياً أخلاقيات هذا النظام من قبيل "اليد الخفية" حيث ستكون لها إمكانية التنظيم اللاشعوري للاقتصاد وتحقيق

كتابات تعبر عن التحدي والتمرد والنقد الذاتي والموضوعي في آن واحد، وعليه أصبح هذا النمط من الكتابة موضع اهتمام علوم عديدة منها: النقد الثقافي، الأنثروبولوجيا، السياسة، السوسيولوجيا، التاريخ، الاقتصاد.

10. أدب المهجر الجديد والشتات الثقافي والاجتماعي: التشظي وصعوبة الاندماج

لقد عبرت نصوص المهجر الجديد عن حالة التملل، وعدم الشعور بالانتماء إلى المكان، فهي تفصح عن غربة موحشة محفزة أسلوبياً لبث زفرات الغربة كالتحسر على الزمن الماضي، وعقد علاقة بين الغربة وعدم الانتماء من جهة، والغربة الأدبية (الموت) من جهة أخرى. بدا من خلالها الشتات الثقافي والاجتماعي جلياً في كتابات المهجر الجديد، ووجد له مرجعيات في مهجر قديم مع دخول المسلمين إلى الأندلس، حيث مثل لحظة فارقة لمواجهة حقيقية ومبكرة بين الغرب والإسلام المهاجر، فهي مواجهة حضارية وثقافية كرس نمطاً من الكتابات المنفتحة على العلم والحب والأدب والتصوف، ومع ذلك ظل مخيال الشرق، وسحر شمسهِ نشيطين في رسم صورة للشوق، والحنين في كتابات المهاجرين العرب، وشمل ذلك حتى الأمراء، فقد عبرت أبيات عبد الرحمن الداخل عن حال الانشطار النفسي بين مكانين مختلفين:

أيها الراكب الميمم أرضي أقر من بعض السلام لبعضي

أن جسمي كما علمت بأرض وفؤادي ومالكيه بأرض

ثم عاد بعاطفة أشد لوعة وحنيناً وقد أثارته نخلة ليقول:

تبدت لنا قرب الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيبي في الغرب والنوى وطول التنائي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثل كفي الإقصاء والمنتأى مثلي
(المسدي، 2002، صفحة 75).

وفي العصر الحديث، اخترقت مجتمعات المهاجرين بنية المجتمعات الحاضنة في البلدان المضيفة، فخلخلت تماسكها البنيوي المحافظ على نمط معين من العلاقات، ووضعت بصمتها في الطابع الثقافي والاقتصادي، والسياسي للمدن المتروبوليتانية مثل لندن وباريس وستوكهولم، ومديري وبرلين ونيويورك، ومونتريال، وغيرها من المدن التي تضم خليطاً من الأعراق والأديان والأيدولوجيات، فأصبحت مكاناً للاختلاف الثقافي بين المجتمعات الغربية الحاضنة، وثقافات يحملها مهاجرون غرباء، وهو الاختلاف الذي كانت البلدان المتقدمة المضيفة ذات النزعة المركزية القوية تأمل انحلاله أو تذويبه بمحلول المركزية الثقافية عن طريق اللغة الحاضنة، ومنظومة القيم الاجتماعية، والقوانين المتبعة في تلك المجتمعات، أو من خلال ممارسة سياسة الاندماج والتكيف والاستيعاب، وغير ذلك من المصطلحات التي هدفها ترويض الثقافات الجديدة وتذويبها في ثقافة المركز.

وجوديا مسكونا بالقلق والتوتر الدائمين، وبالتالي صيغ نمط من الكتابة قادر على تمثل حالة الكينونة القلقة، ولذلك فإن هذه الكتابة اختلقت ما يسمى "الفضاء المستعاد" الذي هو استعادة متخيلة للفضاء الأصلي من خلال خلق سلسلة تخيلات، وتصورات ذات توهج عاطفي مشحون، يستعاد من خلاله الزمان والمكان القديمان والتجاوب معهما وجدانيا عبر استحضار الصور، والأشخاص والأفكار والوقائع والتقاليد والقوانين والفنون والآداب، واللغة، والموروث الشعبي، واستنادا إلى ذلك، فإن "الاستعادة" هي طوق النجاة أو طريقة لخلق عالم متخيل والعيش فيه وجدانيا، فأصبحت لغة الكتابة تمتص ذلك الشعور وتعكسه كمرآة مخدوشة عبر فعل الاستعادة.

11. خاتمة

قدم أدب المهجر الجديد تصورا لأزمة المهاجرين "المغتربين" ومعاناتهم من الشتات الثقلي والاجتماعي، بدءا بأزمة الهوية والبحث عن الذات، والوطن المفقود والحنين إلى الأصل والموطن، كتابات نثرية وشعرية وروائية كشفت عن تطلعات العربي في الخروج من مأزق العدمية، وفتحت وصيدا على متاهة من الانشقاقات العربية الداخلية والخارجية، ومشاكل اجتماعية زجت بمجتمعاتنا العربية في خندق التخلف والانتكاسات المتتالية، إذ يصعب الإلمام بآثار ما مرت به المجتمعات العربية من ويلات الاستعمار ونكبة فلسطين، و هزيمة حزيران التي قصفت الأراضي والفكر لتفرض هزائم متواترة منها الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، تخمر على إثرها العمل الروائي ليتحول إلى جهد إبداعي تجاوز الإبداعات السابقة. ويقول الناقد شوقي عبد الحكيم "إن أبرز ما أفرزته الحروب في القرن العشرين هو القلق الذي أدى إلى تداخل المشاعر وغياب اليقين، الذي ولد في الأدب بصفة عامة ما سمي بتيار الوعي، ولهذا برز مبكرا عام 1984 دعوة توفيق الحكيم في "عودة الوعي" لمراجعة حصاد مواجهة الاستعمار بفكرة رئيسية هي أن المواجهة بلا جدوى، ولا فائدة، وأن هذا هو الدرس المستفاد من نكسة 67، "ومنها تتالت كتابات المهجر التي عبرت عن معاناة الغربة والحنين إلى وطن يئن تحت وطأة التخلف والهزائم المتتالية ما دفع بهذه النخب إلى الهجرة والبحث عن حياة غير التي عاشوها في أوطانهم (النقيب، 1985، صفحة 199).

لذلك عبر أدب المهجر، عن هزيمة حضارية بكل ألوانها، وهاهي الجروح تنكأ من جديد على وقع ثورات عربية اخترقت عموديا وأفقيا بلدا عربيا ليلتهب الوضع من جديد، ولتتجدد الخيبة بأكثر مرارة وأشد عمقا تنامت معها الدراسات الاجتماعية حول الهجرة ومسبباتها، ومن أبرز الإنجازات ما قدمه سيد عويس في مصر حول النزعة الفلسفية والعقلانية للمهجر وما قدمه حليم بركات من بيروت مع بيتر ضودج من تحليل لبواعث هجرة مجموعة فلسطينية من أرضها، وتركز هذه البواعث حول مسألتي العرض والأرض "للاجئون - اقتلاع ونفي".

التوازن العام عبر تحقيق المنفعة أو المصلحة الخاصة أو الدافع الشخصي. فالكفاح الاقتصادي للمهاجرين، كان تيمة للعديد من الأعمال الأدبية كرواية "الرجل الخراب" (دارج، 2012، صفحة 47)، "لعبد العزيز بركه" التي رصدت مشكلة من مشكلات العمل، وهي القيام بعمل يتعارض مع التقاليد، حيث ما يزال المكان القديم يمارس ضغطه، وهيمنته، لكن درويش بطل الرواية كان مجبرا للقيام بنوع من النشاط الاقتصادي الذي سوف يؤسس شكل حياته الجديدة وسوف يدمرها في الوقت نفسه، تدميرا كليا في نهاية المطاف.

إن أسلوب الاقتصاد النيوليبرالي الذي تزامن ظهوره مع الموجات الجديدة من الهجرة، ينظر إليها بوصفها ظاهرة اقتصادية في المقام الأول، فيسعى إلى استثمار طاقات المهاجرين المتعطشين للعمل واستغلال معتقداتهم المشتركة كالعادات، والقيم والمواقف في تنمية العمل وتحقيق الأرباح، وتحفيز النمو الاقتصادي، وتحسين المؤشرات الاقتصادية، لهذا كان توجه البلدان المتقدمة التي تعاني من الركود وبعض المشكلات الاقتصادية والديموغرافية كهرم السكان وقلّة اليد العاملة منذ بداية الثمانينات، هو استقبال أعداد كبيرة من المهاجرين الجدد لغرض سوق العمل وزيادة النمو وتحقيق المكاسب الاقتصادية.

إن السلوك الاقتصادي للمهاجر، لا تحدده الرغبة أو المؤهلات الذاتية، وإنما ثمة نظام نيو ليبرالي يفرض فيه القطاع الخاص أو الشركات والمؤسسات غير المملوكة للدولة شروطها القاسية، ولذلك فإن الطبقة الأكثر تضررا من ذلك هم الكتاب والمثقفون وأساتذة الجامعات، الذين لم يجدوا البيئة المناسبة لاقتحام سوق العمل الخاضع بشكل كبير لسياسة القطاع الخاص الذي يبحث عن الفائدة والمنفعة والأرباح في المقام الأول.

وهكذا حاولت "الكتابة الجديدة" للمهاجرين تصوير نمط الحياة الاجتماعية والاقتصادية وتقاليد وقوانينها في المهجر، وتطرح وبقوة مشكلة الاندماج والانتماء والهوية وعلاقتهم بالكينونة، خاصة مع تصاعد الحركات الدينية المتطرفة التي تنزع إلى العنف والإرهاب وهو ما شكل منعرجا خطيرا بالنسبة إلى المهاجرين الذين تصاعدت تجاههم خطابات العنصرية والكراهية حتى النبذ خاصة منذ أحداث 11 سبتمبر، وصولا إلى انتشار الحركات المتطرفة والترويج إلى الكراهية والعدوانية خاصة بعد الثورات التي شهدتها عدة أقطار عربية ساهمت في تأجيج الاعتداءات الإرهابية المتكررة في بلدان عديدة. وتجد لها تفسيرات سيكولوجية واجتماعية واقتصادية خاصة إذا ما اقترن التطرف والإرهاب بتنامي ظاهرة الهجرة السرية وتدني مستوى معيشة المهاجرين في الأحياء الفقيرة في البلدان المهجر. وهو ما مثل وقودا لتأجيج الأحداث في الرؤية التي يحملها أدب "المهجر الجديد"، فكان انعكاسا صادقا لأزمة أحاسيس الحنين، والوحدة والغربة والحزن الذي ينمي شعورا

- دراج فيصل، (2012). حرب حزيران، تأسيس الهزيمة المتوالة، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 32.
- سليمان عبد العظيم صالح، (1998). سوسيولوجيا الرواية السياسية يوسف القعيد نموذجاً، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- سمر حسن سليمان سمر، (2014). مداخلة أقيمت في ندوة حول أدب المهجر بمهرجان ربيع الشعر بمولاي ادريس زرهون، أيام 4/10.9.8.
- شوقي ضيف شوقي، (2002). دراسات في الشعر، مجلة اللغة العربية عدد 112 /6/
- عباس إحسان، (1982). الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية)، ط3، دار صادر، بيروت.
- عبد السلام المسدي، (2002). بين النص وصاحبه التوحيدي، ط1، سلسلة تحديث دار قرطاج للنشر، تونس.
- عوده ناظم، (2019). الكتابة والمهجر، مقدمة أنثروبولوجية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات الرباط 21 مارس، المغرب.
- غسان كنفاني غسان، (1969). عائد إلى حيفا منشورات الرمال، ط1، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية قبرص.
- غسان كنفاني، (1968). الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948، ط3، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.
- محمد براهيم محمد، (2014). الذات في السرد الروائي، قراءة في 40 رواية، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف السلسلة معالم نقدية، ط1، دار الأمان الرباط، المغرب.
- نقوس المهدي، (2014). الأدب المهجري تاريخه خصوصياته ومظاهره، الحوار المتمدد عدد 435 /4/
- Subaltern studies (1998), Neil Regal, from no Autumn, historiography,oxford university press N 11

تنامت على إثرها الدراسات الفكرية النقدية التي تحكم الأيديولوجيات المتصارعة في المجتمعات العربية الحديثة وما يتعلق منها بأسباب الهزيمة ومشاكل النهضة، ومن أوائل المساهمين في هذا المجال المفكر المغربي عبد الله العروي، والمصريون زكي نجيب محمود وفؤاد زكريا ومراد وهبة ولاحقاً حسن حنفي، واللبناني ناصيف نصار الذي بحث في "الاستقلال الفلسفي"، والأردني أديب نصور الذي حلل عناصر الهزيمة، والسوريان ياسين الحافظ وإلياس مرقص كتب الأول مؤلفه المهم "الهزيمة والأيديولوجيا المهزومة" اللذان ركزا على قيمة الدولة في فترة كان اليسار ينادي فيها بتهديم كافة الأنساق الاجتماعية، من باب تحميلها المسؤولية (الخميسي، 2007، صفحة 51).

وعليه فقد مثل أدب المهجر بكل ألوانه الروائية والشعرية والموسيقية إرثاً فنيا خلفته مرارة حقبة تاريخية مأزومة مربها الفكر العربي، وحراراً فكراً عرف تلونا سياسياً وأيديولوجياً، لكن وبعد مرور أكثر من قرن على الأزمات المتتالية وهجرة المثقفين والنخب خاصة، هل يمكن القول أن تداعيات هذه الأزمات الاجتماعية والفكرية كانت سبباً للاستسلام إلى الهزيمة المطلقة واختيار المهجر كبديل عن واقع مرير، بل والعودة إلى الحلول الغيبية مع صعود الحركات الإسلامية خاصة المتطرفة منها؟

تضارب المصالح

يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

12. المصادر والمراجع

- إبراهيم خليل، (2002). مقاربات في نظرية الأدب ونظرية اللغة، ط2، دار المعارف.
- أبو ماضي إيليا، (1997). بين الشرق والغرب في رحلة التشرد والفلسفة الشعرية، ط1، بيروت.
- أبو شهاب رامي والطبيب صالح، (2009). شكلانية الموت، قراءة في موسم الهجرة إلى الشمال بين الاستثناء والامتلاء، الوطن، 3/18، بيروت.
- الخميسي أحمد، (2007). النكسة والأدب، أوراق اشتراكية، 1 أفريل.
- العشماوي محمد زكي، (1980). الأدب وقيم الحياة المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت.
- العلام عبد الرحمان، (2003). رواية الحرب.. هل هي قدر الأدب العربي؟، جريدة الشرق الأوسط، الخميس 06 ربيع الأول 1424 هـ 8 ماي، العدد 8927.
- المسدي عبد السلام، (2004). الأدب وخطاب النقد، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، عدد 2004.
- الهذيلي يسرى، (2014). المرأة العربية ونمطية الصورة، الأنثى/ الذكر ولعبة المهدي، مؤسسة مؤمنون لا حدود، 15 مارس، الرباط.
- أنصاري شكيب، (1999). الأدب العربي المعاصر دار المعارف، ط2، الهيئة العامة المصرية للكتاب.
- بدر يوسف شوقي، (1997). المقاومة والحرب في الرواية العربية، جريدة الزمان الدولية، العدد 4214.
- حجر عاصي، (1999). شرح ديوان إيليا أبو ماضي، تقديم ودراسة، ط1، دار الفكر العربي بيروت.

- كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

المؤلف يسرى الهذيلي، (2023) الهجرة والشتات الثقالي والاجتماعي: قراءة سوسيولوجية في أدب المهجر الجديد، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 15، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص ص: 118-126